2

العلاقة بين الايكولوجية وتكوين الشخصية البغدادية

بحث اثنوغرافي في بيئة متعددة المداخل

The relationship between ecology and the formation of the Baghdadi personality –

Ethnographic research in a multi-entry environment

الكلمات المفتاحية: الشخصية البغدادية, الايكولوجية

Keywords: Baghdadi personality, ecology

مدرس مساعد/ نداء سلام جميل

Assistant teacher/ Nidaa Salam Jameel

كلية الاداب –قسم علم الاجتماع

aculty of Arts - Department of Sociology

nidaa.s@coart.uobaghdad.edu.iq

الخلاصة

يركز هذا البحث على العلاقة بين الايكولوجية وتكوين الشخصية البغدادية في ظل بيئة متعددة المداخل حيث تعتبر مدينة بغداد نموذجا حضريا معقدا يتأثر بتداخل العوامل الثقافية والاجتماعية والجغرافية , حيث ان البحث يركز على كيفية تأثير البيئة العمرانية والاحياء المتنوعة والمزيج الثقافي على تكوين الشخصية البغدادية من حيث السلوك والهوية والتكيف مع التحولات الثقافية الحضرية , يفسر هذا البحث كيف تؤثر هذه البيئة المتعددة في تكوين سمات الشخصية البغدادية مثل التكيف مع الازمات والحروب والمرونة الاجتماعية والانفتاح على الثقافات الاخرى الى جانب ذلك المحافظة على الهوية التقليدية والموروث الثقافي , كما يتناول البحث أثر العوامل البيئية مثل التخطيط العمراني والتقسيمات السكانية والاحياء ذات الطابع المميز في خلق فروقات بين انماط الشخصية داخل المدينة نفسها , ومن خلال استخدام المنهج الوصفي يستعرض البحث ان التفاعل بين سكان مناطق بغداد المتنوعة مثل الكرخ والرصافة والمناطق الحديثة الى تشكيل شخصية تمتاز بالحيوية والتسامح والانفتاح ولكنها في الوقت ذاته تتأثر بالتحديات البيئية مثل العشوائيات والازدحام المروري والصراعات الاقتصادية والحروب ..الخ. ويلخص البحث ان الشخصية البغدادية ليست كيان ثابت بل متغير ومتجدد يتأثر بالمستجدات البيئية والاجتماعية ما يجعلها نموذجاً فريداً للتفاعل بين البيئة والشخصية في المدن الحضرية الكبرى .Abstract

This research focuses on the relationship between ecology and the formation of the Baghdadi personality in a multi-entry environment, as the city of Baghdad is considered a complex urban model affected by the overlap of cultural, social and geographical factors. The research focuses on how the urban environment, diverse neighborhoods and cultural mix affect the formation of the Baghdadi personality in terms of behavior, identity and adaptation to urban cultural transformations. This research explains how this diverse environment affects the formation of the Baghdadi personality traits such as adaptation to crises and wars, social flexibility and openness to other cultures, in addition to preserving the traditional identity and cultural heritage.T he research also addresses the impact of environmental factors such as urban planning, population divisions and neighborhoods with a distinctive character in creating differences between personality types within the city itself. Through the use of the descriptive approach, the research reviews the interaction between the residents of the various areas of Baghdad such as Karkh, Rusafa and modern areas to form a personality characterized by vitality, tolerance and openness, but at the same time it is affected by

environmental challenges such as slums, traffic congestion, economic conflicts and wars, etc. The research .

المقدمة

تعد العلاقة بين الايكولوجية وتكوين الشخصية البغدادية من المواضيع المهمة وذلك لطبيعة مدينة بغداد الفريدة التي تمتاز بتعدد مداخلها الثقافية والاجتماعية والجغرافية فالبيئة الحضرية ليست فقط مكان يحتض الافراد بل هي عامل اساسي في تشكيل انماط تفكيرهم وسلوكياتهم وقيمهم ففي مدينة بغداد التي شهدت تغيرات ديموغرافية وتحولات عمرانية عبر العصور تتجلى تأثيرات الايكولوجية بشكل واضح على الشخصية البغدادية التي تمتاز بالتنوع والقدرة على التكيف والاندماج الثقافي .

يركز هذا البحث على تحليل تأثير العوامل البيئية المختلفة في تكوين الشخصية البغدادية من خلال استعراض الفصول التالية :

الفصل الاول: يتناول عناصر الدراسة والمفاهيم الاساسية النظرية حول العلاقة بين الايكولوجيا وتكوين الشخصية البغدادية .

الفصل الثاني: يتناول الاطار النظري ومنهجية الدراسة الميدانية وأدواتها .

الفصل الثالث: يتناول التكوين الايكولوجي للحارات البغدادية وتأثيرها في تكوين الشخصية البغدادية في بيئة متعددة المداخل.

وفي نهاية البحث يتناول الخاتمة والتوصيات حول كيفية تعزيز التوازن بين البيئة الحضرية والمحافظة على هوية الشخصية البغدادية في ظل التغيرات الحضرية المتسارعة .

الفصل الاول– المبحث الاول

اولا: موضوع البحث: ارتبطت تكوين الشخصية البغدادية بإيكولوجيا حضرية تمتد جذورها الى تكوين مدينة بغداد نفسها التي استقبلت اجناس مختلفة وثقافات متعددة تقولبت بثقافة اسلامية في بداية تكوينها وبتعدد الاديان والاعراق في فترات متأخرة، وخضعت الى صراعات مذهبية بين الاتراك والصفوين تركت اثاراً كبيرة في الشخصية البغدادية، اختلطت جراءها المؤثرات الثقافية والتكوين الايكلوجي ضمن حارات واسواق بغداد ونهر دجلة الذي يعد المؤثر الايكلوجي الابرز الذي اثرت في الثقافة البغدادية والتي جعل منها نقطة استقطاب لكثير من الاقوام حتى اذا مادخلت بغداد العهد البريطاني والملكي بعد انقضاء العهد العثماني وبروز الاتجاه العلماني ابان فترة العهد

الملكي ، وقد كان تقسيم بغداد الى بيئات حضرية متباينه في ثقافتها ومستوياتها الاقتصادية مشكلة حارات مختلفة في تصميمها المورفولوجيا فمن ازقة ضيقة وملتوية الى ضواحي تتسم بكبر المساحة وشوارع عريضة ما رسم خريطة ثقافية ذات مداخل متعدد ولعل ابرزها المدخل الشعبي الذي تميز بالتضامن ضمن ايكلوجية حضرية اتسمت بالمباني المتلاصقة ما جعل العلاقاتن الاجتماعية تتسم بعلاقة وجهاً لوجه كما رسمت حدود فاصلة بين حارة واخرى فضلا عن فصل نهر دجلة بين حارات الكرخ عن حارات الرصافة حتى ظهرت تكوينات اجتماعية تشبه الى حداً كبير علاقة العشيرة في اطار علاقات ابنائها الداخلية وعلاقاتها مع الحارات الاخرى بينما نشأت مناطق البشوات والمناطق الغنية والمناطق المقدسة ثقافات محلية متعدد اختلفت في لهجاتها وعرفت حدودها، وداخلها الايكلوجيا المتعددة كالمدخل الديني والثقافي الشعبي والطابع الحضري الغني وكل يتبع التكوين الايكولوجي للمدينة فضلا عن نشوء احياء ابان الستينات والفترات اللاحقة جماعات ريفية مهجرة فكان المدخل الريفي الذي ازداد تاثيرا في الثقافة الحضرية في المرحلة الحالية وكل ذلك اثر في تكوين الشخصية البغدادية ببعدها الشعبي والبعد الحضري الباشوي والريفي الزاحف نحو القيم الحضرية، وسيكشف البحث عن ذلك في اثناء معالجته للموضوع.

ثانيا: اهمية البحث

تتركز اهمية البحث في محورين رئيسيين اولهما سعيه لتكوين معرفة نظرية من خلال الوصف والتحليل استنادا الى ادبيات الانثروبولوجيا ولاسيما نظريات الثقافة والشخصية وهو هدف يسعى اليه البحث لزيادة المعرفة النظرية عن تأثير التكويني الايكولوجي في الشخصية البغدادية وهو يصب في اثراء الدراسات الانثروبولوجيا في العراق. اما المحور الثاني فهو يتمثل بتكوين معرفة تطبيقية استنادا الى المعطيات الميدانية واختبار صحة توجه البحث النظري.

ثالثا: اهداف البحث

1. يسعى البحث الى معرفة تاثير التكويني الايكولوجي للحارات البغدادية في تكوين الشخصية في بيئة متعددة المداخل.
2. فهم موقع مدينة بغداد الجغرافي ودور اهمية نهر دجلة في رسم ملامح الشخصية البغدادية في جانبيه الكرخ والرصافة وتاثير الزحف الريفي نحو النسيج البغدادي ببعده الشعبي والباشوي.

(المفاهيم والمصطلحات)

اولا: الثقافة الايكولوجية: هي جزء من الثقافة العالمية ، ونظام العلاقات الاجتماعية ، والمعايير والأخلاق الاجتماعية والفردية ، والآراء والمواقف والقيم المتعلقة بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة، التعايش المتناغم بين المجتمع البشري والبيئة الطبيعية، آلية تكاملية مشتركة للإنسان والطبيعة ، تتحقق من خلال موقف المجتمع البشري من البيئة الطبيعية والمشاكل البيئية بشكل عام. من وجهة نظر العملية والتعليمية ، تُعتبر الثقافة البيئية تخصصًا منفصلاً في إطار الدراسات الثقافية.

- الايكولوجيا: عرّفها العالم (فرتشايلد) وهي دراسة العلاقات بين الأجسام الحية وبيئاتها إذ تعرف في علم الانثروبولوجيا بأنها تكيف الثقافات البشرية مع بيئاتها الطبيعية. [1].

ثانيا :الثقافة لغةً : يعرف ابن منظور بأنه ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة حذقه ورجل ثقفه , قالوا ثقف لقف ويقال ثقف الشيء أي سرعة التعلم . اما القواميس الحديثة تقول : ثقف الكلام أي فهمه بسرعة .

اصطلاحاً: يُعدّ مصطلح مفهوم الثقافة من اوسع الكتابات انتشاراً لاسيما في محيط الانثروبولوجيا الأمريكية , إذْ إنَّ لكل مجتمع بشري ثقافته الخاصة به التي تختلف من مجتمع إلى آخر, والتي تتضمن العادات والتقاليد والقيم والأعراف واللغة والدين ...الخ. إن كلمة ثقافة تدل على اساليب السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات وليس في مجتمع واحد فقط , اذن " يشير معنى الثقافة بشكل عام إلى أساليب الحياة التي تنتشر في كافة المجتمعات الإنسانية كافة خلال مدة زمنية محددة. عرف العالم الانثروبولوجي "ادورد تايلور" الثقافة بأَنها ذلك الكل المركب المعقد من العادات والتقاليد والاعراف والقيم والفنون والقوانين التي تؤدى من جانب الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع[2].

ثالثا: الشخصية لغةً: هي من (شخص) وقد ورد في لسان العرب شخص وهو سواد الانسان تراه من بعيد , وكل شيء رأى جسمانه فقد رأى شخصه , وهذا المعنى اقرب للإشارة الى الجسم المادي للإنسان .

اصطلاحاً: تعرف الشخصية بأنها التنظيم الدينامي داخل الفرد وتنظيم الاجهزة النفسية والجسمية التي تحدد طابعه الخاص وتحدد خصائص سلوكه وافكاره .[3]

التعريف الانثروبولوجي للشخصية: اذا كان للثقافة مضمونها التاريخي المتمثل في التراث الإنساني العريق فقد يكون من الصعب في الدراسات الانثروبولوجية ان نفصل بين الثقافة وبين الشخصية، وذلك لانها إذا كانت الثقافة هي الميراث الاجتماعي لكل ما صنعها الإنسان عبر الزمان والمكان ،فأن الشخصية تعتبر هي الوجه الأخر للثقافة، وفي ضوء تلك العلاقة الوثيقة

بين عناصر الثقافة المحلية وبين نمو الشخصية ، التزم بعض الباحثين الانثروبولوجيين بإيجاد تعريفات لمفهوم الشخصية يتضح من خلالها مدى التفاعل القائم بين الفرد والثقافة.
وتعرفها (روث بندكت) : ان شخصية الفرد تعد نتاجاً لثقافة مجتمعه وان الثقافة مثلها مثل الفرد عبارة عن نمط متسق من الفكر والفعل , حيث حاولت بندكت الجمع بين مفهوم اصل الثقافة وتأثيرها بالشخصية الانسانية. [4]

الفصل الثاني (الاطار النظري ومنهجية الدراسة الميدانية وادواتها)

المبحث الاول: النظرية المفسرة للدراسة

اولا: نظرية الثقافة والشخصية : تعد العالمة الانثروبولوجية (رووث بندكت) رائدة في مجال الدراسات الخاصة بالعلاقة بين الثقافة والشخصية والتي بنيت اشكال الثقافات على اشكال سيكولوجية وقد توصلت النظرية (الثقافة والشخصية) ان الثقافات المتكاملة هي نتاج للانتقاء التاريخي للقيم والعادات وفقاً لنمط الشخصية السائدة بما معناه (تحليل الباحثة) ان الثقافة ليست مجرد بيئة يعيش فيها الافراد بل هي قوة موجهة تشكل شخصياتهم وسلوكهم , وان الافراد لا يولدون بشخصيات مستقلة تماماً ولكن تتشكل هوياتهم وفقاً للقيم والمعايير الثقافية التي ينشؤون فيها , والخلاصة ان الثقافة هي التي تحدد شخصية الانسان. وقد تم استخدام هذه النظرية في دراستنا حول معرفة العلاقة بين الأيكولوجية وتكوين الشخصية البغدادية[5] .

المبحث الثاني: منهجية الدراسة وادواتها

اولاً:- المنهج الوصفي (الاثنوغرافي)[6]:

ان الاثنوغرافيا علم وصف الشعوب والاقوام وتحدد بتسجيل المادة الثقافية من الميدان كما تعني وصف اوجه النشاط والمعاش، وهو يساهم في رسم منهج اتضحت معامله الرئيسية ورسائله العلمية لتقدم ثمرات علمية تفيد برسم السياسة الثقافية والاجتماعية للبشرية جمعاء وذلك من خلال تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة سواء كانت ثقافية متقدمة ام بدائية وهو ما يعرف بالاتصال الثقافي ونتائج التأثير المتبادل بين الثقافات وامكانية كل منهما في بعض المشكلات البشرية، والمنهج الوصفي هو المنهج الذي يهدف الى جمع الحقائق والبيانات عن

ظاهرة او موقف معين، مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيراً كافياً، كما انه من ادق المنهاج العصرية الحديثة اذ يحاكي الواقع من حيث الوصف، وقد تم استخدام هذا المنهج لوصف الشخصية البغدادية ووصف بيئة المدينة البغدادية وكيف تتأثر الثقافة المكان بالشخصية الانسان[7] .

*يعد المنهج الوصفي منهجاً لدراسة ثقافة المجتمعات من خلال وصف تفصيلي للعادات والتقاليد والقيم وانماط السلوك المختلفة التي تميز المجتمع البغدادي عن غيره من المجتمعات.

يعتمد هذا المنهج على ملاحظة الباحث للمجتمع بشكل مباشر وذلك لفهم الظواهر الاجتماعية بصورة اعمق. فمثلا يقوم الباحث بملاحظة المجتمع وتدوين البيانات وتحليلها وتفسيرها, هذا المنهج يساعد على تقديم فهم عميق وشامل حول كيفية تأثير العوامل البيئية في تكوين الشخصية البغدادية[8].

ثانياً: مجالات الدراسة

إن كل دراسة ميدانية لها مجالات أساسية يقوم الباحث من خلالها بجمع أكبر قدر ممكن من الحقائق والمعلومات عن الدراسة, وعلى أساس ذلك اعتمدت المجالات الآتية:

1. المجال البشري:

تتخذ الدراسة المجتمع البغدادي خاصة والمجتمع العراقي عامة بجميع شخصياتها وتعدد ثقافتها واديانها وطوائفها مجالاً بشرياً لها.

2. المجال المكاني:

حدد المجال المكاني للدراسة في مركز مدينة بغداد والتي تعدّ العاصمة العراقية .

3. المجال الزماني:

يمثل المجال الزمني المدة التي يتواجد فيها الباحث في ميدان الدراسة حيث أُجريت الدراسة الميدانية خلال المدة من 2024/1/1 ولغاية 1/ 2024/10.

ثالثا: أدوات الدراسة

الملاحظة: تعرف أدوات الدراسة بأنها تلك الوسائل المستعملة في جمع المعلومات والبيانات الخاصة بدراسةً ما, ولقد استخدمتُ في هذه الدراسة (الملاحظة بالمشاركة, والمقابلة المعمقة, والاخباريون, والتصوير الفوتوغرافي, وتقنية الانترنت)

1. الملاحظة بالمشاركة: تُعدّ أداة الملاحظة بالمشاركة مهمة في الدراسات الميدانية الانثروبولوجية, ويطلق عليها المشاهدة لما تحمله من دلالات تتطلب الحضور الواعي للباحث.

وعرّف كلوكهون الملاحظة بالمشاركة إنها الملاحظة التي يقوم بها الباحث بمشاركة واعية ومنظمة, حينما تسمح الظروف في نشاطات الحياة الاجتماعية وفي اهتمامات الجماعة بهدف الحصول على بيانات تتعلق بالسلوك الاجتماعي, وذلك عن طريق اتصال مباشر يجريه الباحث من خلال مواقف اجتماعية محددة.(1)

إن الملاحظة بالمشاركة تعني أن يصف الباحث الانثروبولوجي كل ما يراهُ, وذلك عن طريق مشاركته لمجتمع الدراسة, إذ يمكث الباحث مدة معينة في مجتمع البحث ويقوم بملاحظة كل ما يدور في المجتمع ويشارك المجتمع في أثناء مدة مكوثه ويدوّن الاحداث ليستفيد منها فيما بعد.[9]

2. الاخباريون: تُعدّ من أدوات البحث الانثروبولوجي التي يستعملها, الباحث خلال دراسته وذلك بطرح الاسئلة والاجابة عنها بمعلومات اثنوجرافية عن طريق اشخاص مخبرين لهم معلومات قيمة وصحيحة عن مجتمعهم الذي يدرسه, وتشمل مختلف مظاهر حياتهم ونظمهم ويناقش حولها لاستكشاف ما يصعب عليه فهمه, من حقائق غامضة تتعلق بموضوع الدراسة.[10] ويعرف الاخباري بأنه الشخص المخبر , الذي يقدم المعلومات والبيانات الى الباحث الحقلي والمخبرون هم اشخاص خبروا الحياة, ومكثوا داخل المدينة مدة طويلة من الزمن. وجلهم من شهد ثلاثينيات القرن الماضي الى الوقت الحاضر أمد الله في أعمارهم، فهم يمتلكون معلومات مهمة عن حياة السكان وعن التغيرات التي طرأت وتطرأ على المدينة كما يعد المخبرون من الاشخاص الذين يشهد لهم بالصدق والمكانة الاجتماعية بين سكان المدينة القديمة[11].

تقنية الانترنت: تعدّ من الأدوات الشائعة الحديثة, المستعملة في الدراسات الانثروبولوجية, وعن طريقها تجمع المعلومات وذلك عن طريق المقابلة والتواصل الالكتروني مع المبحوثين.

ويُعدّ استعمال تقنية الانترنيت الحديثة, لدى الرابطة الامريكية الانثروبولوجية الرقمية على أساس تكنلوجيا الاتصال والتواصل , موقعاً ميدانياً لعلماء الانثروبولوجيا اذ يسمح بالمراقبة ومشاركة المجتمع ميدانياً.

يعتمد الباحث الميداني على مهارات الاتصال , وذلك بتهيئة قدراته الفكرية والابداعية كافة وذلك من أجل إتمام عملية الاتصال والتواصل مع المبحوثين.

الفصل الثالث (المبحث الاول)

التكوين الايكولوجي للحارات البغدادية وتأثيرها في تكوين الشخصية البغدادية في بيئة متعددة المداخل

*ان التكوين الايكولوجي للحارات البغدادية يمثل تركيبة معقدة من التأثيرات البيئية والاجتماعية التي تشكل الشخصية البغدادية عبر تاريخها المديد حيث يمكن تقسيم هذه التأثيرات الى اربعة مداخل رئيسية :

1. المدخل الحضري: يشير الى تأثير البنية التحتية الحضرية والتخطيط العمراني على نمط الحياة للسكان حيث تمتاز الحارات البغدادية القديمة بتصميمها المعماري المميز الذي يتسم بالأزقة الضيقة والمنازل المتلاصقة . وهذا ما يعزز الروابط الاجتماعية والتضامن بين الناس . وكذلك تؤثر البيئة الحضرية على سلوك الافراد وشعورهم بالانتماء الى مجتمعهم حيث تعتبر بعض الاحياء مراكز اجتماعية وثقافية تساهم في بناء الهوية الشخصية والجماعية. ان التخطيط العمراني الحضري للحارات البغدادية القديمة تم بناؤها وفق ما يراعي الظروف المناخية والاجتماعية حيث ان بيوت بغداد مبنية من الطابوق والجص والمزينة بالخشب تعكس الهوية الحضرية للمجتمع البغدادي والتراث الثقافي. وكذلك الاسواق والحرف التقليدية مثل سوق الصفافير وسوق الشورجة وغيرها تعتبر مراكز حيوية وثقافية واماكن للتبادل والتواصل الثقافي والاجتماعي. وان الحرف اليدوية منها الخياطة والنجارة والنحاس وصناعة السكاكين وغيرها كانت تعبر عن الثقافة البغدادية وتقدر العمل اليدوي والابداع.
2. المدخل الشعبي : يتمثل بالعادات والتقاليد والاعراف والفنون والقصص والحكايات الشعبية والتي تنتقل عبر الاجيال, وهو ما يسمى الفلكلور الشعبي الذي يتمثل بالمناسبات الاجتماعية والاحتفالات الدينية والاجتماعية والتي تسهم في تشكيل القيم الاجتماعية والاخلاقية والدينية والتي تربط الفرد بجذوره وبمحيطه الاجتماعي الذي يشعر الفرد بالانتماء الى مجتمعه . وكذلك الفنون الشعبية منها الموسيقى التقليدية مثل المقام العراقي والذي يعد من اعرق اشكال الموسيقى العراقي والذي يمثل جزء مهم من الثقافة الشعبية , وكذلك المسرحيات الشعبية والشعر والادب كل هذا يعكس قيم المجتمع ويعزز هويته الاجتماعية والثقافية.
3. المدخل الريفي: فيما يخص تاثير الهجرات الداخلية من الريف الى المدينة حيث ان بغداد كانت تستقبل العديد من المهاجرين من الريف مما ادى الى دخول عناصر ريفية الى مدينة بغداد الحضرية وتريفت المدينة نوعا ما وايضا ادى الى خلق ديناميكية ثقافية واجتماعية اثرت بشكل كبير في تكوين الشخصية البغدادية والتي تتميز بقدرتها على تنوع والاندماج والتعايش فيما بينهم . ان الشخصية البغدادية التي ومازالت تحتفظ بعناصر من القيم الريفية مثل الكرم والضيافة والصبر والشجاعة والتضامن الاجتماعي .
4. المدخل الديني: ان الدين يعتبر المحور الاساسي في تشكيل هوية الفرد والمجتمع في بغداد حيث تعتبر المؤسسات الدينية مثل الجوامع والحسينيات والمدارس الدينية والفقهية من المراكز المهمة في الحياة اليومية حيث تعد هذه المؤسسات مراكز دينية وتعليمية وثقافية فالتعليم الديني في هذه المؤسسات يلعب دور كبير في تشكيل القيم الاخلاقية والاجتماعية للافراد. ان الشعائر الدينية والطقوس مثل صلاة الجمعة والاحتفالات بالاعياد الاسلامية مثل عيد الفطر وعيد الاضحى واحياء المناسبات الدينية مثل شهر رمضان والمولود النبوي, وطقوس عاشوراء حيث تعد من المكونات

الاساسية للبغداديين . ان هذه الشعائر الدينية تعزز الشعور بالانتماء الى مجتمع ديني مشترك وهذا ما يعزز الروحانية وتشكيل توجهاتهم الفكرية وتضامنهم الاجتماعي .

- الخلاصة ان التكوين الايكولوجي للحارات البغدادية يخلق شخصية متعددة الابعاد تجمع بين اصالة الريف وحضارة المدينة وبين قيم الدينية العميقة والعادات الشعبية , هذه المكونات تتفاعل وتتكامل لتشكل هوية بغدادية فريدة قادرة على التكيف مع التغيرات الاجتماعية والسياسية على مر العصور مع الحفاظ على تراثها وثقافتها.

المبحث الثاني: التأثير الايكولوجي في الشخصية البغدادية

قبل ان ندرس الشخصية البغدادية للفرد العراقي يجب ان ندرس مفهوم الشخصية بوجه عام , فالشخصية هي الافكار المنظمة والميول والعادات والتقاليد التي يتميز بها شخص عن شخص اخر , ان كل المجتمعات الانسانية لها ثقافتها التي تميزها عن المجتمعات الاخرى وكل شخص له ثقافته الخاصة التي تميزه عن شخص اخر . ان الانسان يبني شخصيته من ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه وكذلك يبني شخصيته عن طريق الاسرة والتنشئة الاجتماعية التي يكتسب منها قيمه وتقاليده . اذن ان الشخصية تكوينها يكون نتيجة تفاعل مستمر بين العوامل البيولوجية والعوامل الاجتماعية . ان لكل شخصية جزء دفين لا يخضع لقواعد المجتمع او يستجيب له فهذا الاختلاف في تكوين الشخصية يجعل افراده مختلفين رغم تنشئتهم في المجتمع نفسه او الاسرة نفسها . وان الشخصية البغدادية تعود الى تاريخ وثقافة مدينة بغداد العريقة , التي لها ملاح يتميز بها سكان مدينة بغداد وهي تجسيد للصفات والقيم الثقافية التي يتميز بها سكان بغداد والمناطق المحيطة بها منها: التراث والعراقة حيث تتميز شخصية البغدادية بتراثها وفخر اعتزازها بتاريخها العريق في بغداد, و الكرم والضيافة والذوق والاناقة في السلوك والهندام, وان بغداد لها عادات وتقاليد متمسكين بها خاصة بثقافتهم وبموروثهم الثقافي, وتتميز الشخصية البغدادية ايضا بالمرونة

والتكيف مع تحديات الظروف التي عاشوها والتعايش والتسامح مع الاديان والقوميات المختلفة, وكذلك تهتم الشخصية البغدادية بالفن والادب وتقدير الابداع والجمال وذلك لأطلاله على نهر دجلة ووجود الشخصيات والفنانين الشعراء والكتاب...الخ. ويمكن تفسير الشخصية البغدادية من الناحية الانثروبولوجية وانها نتاج تفاعل بين العناصر الثقافية والاجتماعية والتاريخية منها : تأثير البيئة الجغرافية باعتبار بغداد عاصمة تجارية وثقافية ولها تأثير كبير في الشخصية البغدادية منها تبادل الثقافات وتبادل المصالح والتلاقح الاجتماعي, وتتميز بالتنوع الثقافي والتطور التاريخي .ان العراق بلد الحضارات والثقافات المختلفة اذ يعتبر العراق بلاد حضارة وادي الرافدين الذي يتميز بنهري دجلة والفرات وان مدينة بغداد تقع على نهر دجلة الذي يرفد المدينة من شمالها الى جنوبها , ان من قام ببناء مدينة بغداد ابو جعفر المنصور الذي بناها بشكلها المدور والتي تحيطها محلات على جانبيها الشرقي والغربي من الكرخ والرصافة . ان التحول والتغيير والتمدد العمراني الذي شهدته بغداد حديثا لم يعد امام الباحث الانثروبولوجي دراسة المناطق او محلات بغداد القديمة الا ان يستدل بما هو شاخص ومميز من اثار قديمة باقية , وتاريخ عميق مثل منطقة المنصور التي يوجد فيها نصب رأس ابو جعفر المنصور الذي بنى بغداد , وكذلك منطقة الاعظمية سميت نسبة الى الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان , ومنطقة الكاظمية نسبة للأمام موسى الكاظم (ع) , وشارع المتنبي والرشيد ... الخ .

وهنالك مناطق شهدت بغداد تغيرا في اسماء محلاتها القديمة منذ نشأتها بسبب الكوارث الطبيعية والانسانية منها الحروب في العراق على مر تاريخها, مما ادى الى تغير في الاقوام التي سكنت بغداد فقد تناسى اسماء تلك المحلات القديمة بل ادى الى خلق اسماء مختلفة وجديدة كما اشرنا اليها سابقاً.

ان موضوع بحثنا حول العلاقة بين الايكولوجيا وتكوين الشخصية البغدادية وهو مصطلح يرمز الى النمط الاجتماعي والثقافي الذي يعرف به اهالي مدينة بغداد وان تكوين الشخصية هي تكون نتيجة تأثير البيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية في تطوير الشخصية البغدادية وتشكيلها , وان الشخصية البغدادية تتأثر بالعوامل المحيطة بها مثل الجو الثقافي والاجتماعي والظروف الطبيعية والبيئية كالمعالم الحضارية والمناخ. فيمكن تحليل العلاقة بين الايكولوجيا وتشكيل الشخصية البغدادية من خلال عوامل عدة اهمها: (البيئة الطبيعية) ان المناخ والطبيعة المحيطة بالفرد البغدادي يسهم في تكوين شخصيته مثال , الجو الحار في بغداد قد يؤثر على السلوك الفردي وعلى انفعالاته وعلى خلق مميزات في الشخصية مثل الصبر, الحرارة في الخوض مع الظروف الصعبة وتحملها. اما (البيئة الاجتماعية) ان الافراد يتأثرون مع البيئة المحيطة بهم من خلال التنشئة والتفاعل مما يؤثر في تكوين شخصيتهم وسلوكهم. اما (الثقافة والتقاليد) تلعب العادات والتقاليد دوراً في تكوين الشخصية ونمط التفكير منها القيم الدينية والقيم الاجتماعية والتعددية

الثقافية والعرقية وهذا يؤثر على تفاعل الافراد مع بعضهم البعض وعلى تكوين شخصياتهم من خلال الاحترام المتبادل والتعايش السلمي بينهم . وان (الجانب السياسي والاقتصادي) يمكن ان تؤثر الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها بغداد على شخصية افرادها منها الحصار والحروب والضغط النفسي والتوتر . وكذلك (الجانب التكنلوجي) تلعب التطورات التكنلوجيا الحديثة دور في تحديد نمط الحياة وتغيير افكار الافراد في المجتمع البغدادي حيث ان وسائل التواصل الاجتماعي والتكنلوجيا الرقمية تؤثر على طريقة تفاعل الافراد مع بعضهم البعض ومع العالم الخارجي بأعتبار نحن نعيش في زمن(العولمة) والتي يقصد بها سيطرة ثقافة على مجموعة من الثقافات وهي على سبيل المثال: ثقافة الانترنيت والتكنلوجيا, من خلال التعرض لثقافات مختلفة وتبادل المعرفة و الخبرات مع الاخرين اذ تعد هذه العوامل وغيرها تشكل مجموعة متشابكة من العوامل التي تؤثر على تكوين الشخصية البغدادية مما يبرز اهمية لدراسة مثل هذا الموضوع.

- وهنالك تساؤل حول تأثير نهر دجلة على الشخصية البغدادية؟ حيث يعتبر نهر دجلة جزء لا يتجزأ من ثقافة وتاريخ العراق العظيم وخاصة مدينة بغداد التي تقع على ضفاف النهر اذ يعد النهر جزءاً مهماً من هوية البغداديين حيث يوفر لهم مصدراً للمياه والزراعة وكذلك مصدراً للحياة والاعتزاز الثقافي والجمال الطبيعي حيث يضفي النهر جمالا طبيعيا على المدينة ويعمل على تحسين جودة الهواء والمناخ مما جعل بغداد مدينة للانتعاش والازدهار جذب السكاني, حيث ان النهر يؤثر بشكل كبير على حياة سكان البغداديين من خلال الزراعة الممتدة على ضفافه او من خلال التجارة والنقل التي يمكن القيام بها عبر المياه , وكذلك يعتبر النهر مركزاً للترفيه والاستجمام والصيد , حيث يمتد تأثيره الى جوانب اجتماعية وثقافية واقتصادية فمن الجوانب الاجتماعية يعتبر نهر دجلة مكان للتواصل والتفاعل بين العوائل الكرخ والرصافة حيث يعتبر مكان للاجتماع والتلاقي من مختلف الاعمار والثقافات مما يؤثر ايجابيا على تكامل المجتمع وتقوية الروابط لأنه يعتبر مكان للتأمل والاسترخاء والهروب من ضغوطات الحياة اليومية مما يؤثر ايجابيا على الصحة العقلية والنفسية والروحية للأفراد ومكان للتواصل الاجتماعي, اذ يعتبر النهر مصدراً للإلهام الثقافي والادبي حيث يغنى به الشعراء والكتاب في قصائدهم ورواياتهم الثقافية وهذا ما يجعله جزءاً هاماً للهوية الثقافية لسكنة بغداد, وكذلك يعتبر مصدر للنقل والمواصلات النهرية قديماُ وحديثاً بين المناطق بغداد, وايضاً كان يستخدم قديماً لنقل البضائع التجارية وتبادل السلع داخلياً وخارجياً على طول ضفاف نهر دجلة . ان تأثير نهر دجلة على البنية العقلية للشخصية البغدادية يمتد لجوانب عدة منها : الانتماء الثقافي, وتشجيع الروح الابداعية للأعمال الفنية والتفكير الادبي, والهدوء والاسترخاء, الروح التجارية وانعاش اقتصاد المدينة , والتواصل الاجتماعي والتلاقح الثقافي والفكري, التحفيز الصحي والبدني , والتنوع الثقافي واللغوي . بشكل عام يعد نهر دجلة مصدراً للحياة والجمال

والثراء الثقافي للبغداديين , وله دور فعال في تعزيز الصحة العقلية والجسدية والتواصل الاجتماعي والثقافي للبغداديين مما يؤثر بشكل عميق على شخصيتهم وطابع حياتهم اليومية.

الخاتمة والتوصيات

ان العلاقة بين الايكولوجية الحضرية وتكوين الشخصية البغدادية علاقة معقدة ومتداخلة حيث تساهم العوامل البيئية العمرانية والاجتماعية في صياغة الهوية الثقافية والسلوكيات العامة لسكان مدينة بغداد فقد اظهرت الدراسة ان التغيرات المستمرة في البنية التحتية والتخطيط العمراني والتنوع الديموغرافي اسهمت في تكوين شخصية مرنة قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة لكنها في الوقت ذاته تواجه تحديات تؤثر على استقرارها النفسي والاجتماعي كما تبين ان الشخصية البغدادية تجمع بين سمات التعايش والانفتاح على التنوع وبين النزعة على المحافظة على التقاليد والاعراف مما يعكس التفاعل بين البيئة الحضرية والهوية الفردية والجماعية, وفي ظل التحولات السريعة في بغداد سواء على المستوى الاجتماعية او العمراني تبرز الحاجة الى سياسات حضرية اكثر تكاملاً تهدف الى تحسين البيئة المعيشية وتعزيز التماسك الاجتماعي بما يسهم في دعم الشخصية البغدادية في مواجهة التحديات المستقبلية.

واهم التوصيات التي توصلت لها الدراسة هي تحسين التخطيط العمراني وذلك بتطوير تخطيط المدينة بشكل يراعي الحفاظ على الهوية الثقافية لبغداد مع توفير بيئة حضرية مستدامة تقلل من ازمات الاكتظاظ والعشوائيات , وكذلك تعزيز التفاعل الاجتماعي للحفاظ على روح التعايش والتسامح التي تميز الشخصية البغدادية , كذلك تنمية الوعي البيئي من خلال اقامة مشاريع وحملات تطوير المساحات الخضراء وتطوير البنية التحتية من خلال تحسين الخدمات الاساسية مثل النقل والصرف الصحي وادارة النفايات وذلك لتقليل الضغوط البيئية التي تؤثر على سكان المدينة , وايضا يجب دعم الدراسات المستقبلية من خلال تشجيع الابحاث العلمية التي تدرس العلاقة بين البيئة الحضرية والسلوك الاجتماعي من اجل تطوير استراتيجيات مستدامة حافظ على الهوية الثقافية لبغداد , وكذلك على الدولة الاستمرار في اعادة تأهيل المناطق التراثية في بغداد كما شهدنا في تجديد مناطق بغداد القديمة مثل شارع المتنبي والقشلة .حيث تسعى هذه التوصيات الى ايجاد توازن بين التطور العمراني والحفاظ على الشخصية البغدادية الاصيلة مما يضمن مستقبلاً اكثر استقرارً وتكيف مع عصر الحداثة والتطور.

المصادر

1. د. علاء الدين جاسم البياتي, البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي, دار التربية, بغداد, 1975, ص23.

2. ماهر اسماعيل الجعفري, دور الثقافة العربية في تحديد ملامح الشخصية العربية, مجلة دراسات اجتماعية, بغداد بيت الحكمة, 1999. ص47.
3. حامد عبد السلام زاهر, علم النفس الاجتماعي, عالم الكتب , المكتب الجامعي الحديث , الاسكندرية,1992.
4. مراد زعيمي، ادوات البحث الميداني، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منشوري، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص153.
5. عدنان احمد مسلم , محاضرات في الانثروبولوجيا علم الانسان , ط1, 2001, مكتبة العبيكة، الرياض, ص248.
6. د. احمد عبد الرضا الحسني، رسالة ماجستير عن مدينة الكاظمية قديماً دراسة انثروبولوجية، جامعة بغداد كلية الآداب، 2007، ص36.
7. حسن عبد الباسط، اصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو مصري، ط2 ، 1972، ص404.
8. موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية , تأليف سارلوت . سمث, ترجمة علياء شكري واخرون , بأشراف محمد الجوهري , ط2, المركز القومي للترجمة , 2009, ص311.
9. احمد علي الخفاجي، الحركات الاسلامية المعاصرة والعنف، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2009، ص10

[1] د. علاء الدين جاسم البياتي, البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي, دار التربية, بغداد, 1975, ص23.

[2] ماهر اسماعيل الجعفري, دور الثقافة العربية في تحديد ملامح الشخصية العربية, مجلة دراسات اجتماعية, بغداد بيت الحكمة, 1999. ص47.

[3] .حامد عبد السلام زاهر, علم النفس الاجتماعي, عالم الكتب , المكتب الجامعي الحديث , الاسكندرية,1992.

[4] د. علي كاظم حمزة, مجلة الاداب ذي قار, دور الثقافة في تكوين الشخصية دراسة نظرية لاسهامات رواد مدرسة الثقافة والشخصية, 2022.

[5] . سمير خليل , دليل المصطلحات للدراسات الثقافية والنقد الثقافي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان,1981,ص50.

[6] .حسن عبد الباسط، اصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو مصري، ط2 ، 1972، ص404.

[7] .موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية , تأليف سارلوت . سمث, ترجمة علياء شكري واخرون , بأشراف محمد الجوهري , ط2, المركز القومي للترجمة , 2009, ص311.

[8] . احمد علي الخفاجي، الحركات الاسلامية المعاصرة والعنف، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2009، ص10

[9] . مراد زعيمي، ادوات البحث الميداني، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منشوري، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص153.

[10] . عدنان احمد مسلم , محاضرات في الانثروبولوجيا علم الانسان , ط1, 2001, مكتبة العبيكة، الرياض, ص248.

[11] . د. احمد عبد الرضا الحسني، رسالة ماجستير عن مدينة الكاظمية قديماً دراسة انثروبولوجية، جامعة بغداد كلية الآداب، 2007، ص36.